

ظهر حديثاً

العالم الطريف لألدس هكسلي نقله إلى اللغة العربية الأستاذ محمود محمود (دار الكاتب المصرى)

يتميز ألدس هكسلي من الكثير من الكتاب الانجليز في هذا العصر بطابع خاص ؛ فهو سليل قوم عرفوا بالانكباب على الآداب والعلوم والانتقطاع لها ، وأوتوا بسطة من العيش فليس منهم من شغل بتدبير أمور حياة ، ونشأوا مند طفولتهم يعملون لتنمية مواهبهم ، واتباع ميولهم . فلا عجب إذا اشتهر من أهله أفراد بلغوا أوج الشهرة فما اختاره كل منهم من نواحي الفن أو العلم . فجدّه هو هكسلي الطيب الشهير في تاريخ العلوم الذى أيد داروين في آرائه . وأخوه اليوم عالم من أكبر الباحثين في علم الحياة ، وهو يرأس الآن تلك الهيئه الثقافية التى أنشأتها هيئة الأمم المتحدة . أما ألدس فقد مال إلى الأدب ، وإن كان لم يهمل ثقافة العلم ، وكان في شبابه ممن يعجبون بالكاتب د. ه. لورنس . ولقد تولى نشر جانب من رسائل لورنس إليه ومنها نعلم تأثره بهذا الاديب . ولكن

هى جراءة محمودة تلك التى أوحى إلى دار الكاتب المصرى نشر هذا الكتاب ، وإلى الأستاذ محمود محمود نقله إلى اللغة العربية ؛ فان نقل هذا السفر إلى لغتنا العربية لما يبشر بذلك الوقت ، الذى نرجو أن يكون قريباً ، حين نرى الأدب العربى يساير الأدب الأوروبى جنباً إلى جنباً ؛ فكما نجد كل مؤلف قيم فى لغة من اللغات الأوربية لا يلبث أن ينقل إلى اللغات الأخرى ، كذلك نود أن نرى مثل هذا المؤلف لا يلبث ان ينقل إلى اللغة العربية ؛ وحينئذ نشعر كل الشعور بأن اللغة العربية تسير مع الزمن ، وأن عالم الفكر العربى يتابع النهضة الفكرية ويساهم فيها . ولكننا نرى من الجراءة نقل هذا المؤلف ؛ لأنه بموضوعه وبأسلوب مؤلفه وبطريقته فى معالجة الأمور يتطلب نقله إلى اللغة العربية جهداً ليس بالهين ، بل هو مجهود يعتبر بعض التوفيق فيه مدعاة للفخر ، فكيف إذا كان مجهوداً موفقاً كل التوفيق !

لورنس ؛ ذلك أن وسطه العلمى جعل عباراته دقيقة حادة قاطعة كالشرط فلا تجد فيها روح الشعر الذى تجده فى عبارات د. ه. لورنس ولا تلك البسطة فى العبارة .

الحقيقة أن ألدس هكسلى ظل يصدر عن عقله ، وعقله فقط ، فى كتاباته ، أما مشاعره فهى مشاعر الرجل الذى لا يؤمن إلا بالعقل وحده ؛ ففيه روح السخرية قوية لازعة ، وهى إن تلطفت صارت فكاهة ولكنها لن تنزل إلى العطف .

ولذلك ترى أشخاص رواياته يتحركون ويتكلمون ويضطربون فى الحياة تدفعهم أهواؤهم وغرائزهم هنا وهناك ، وتسيطر على أقدارهم روح شريرة مرحة يتبين للقارى بقوة أنها روح مؤلفهم الذى هو خالقهم .

أما موضوع القصة فلا يهتم به هكسلى . وقد تقرأ قصة من قصصه وتحاول جاهداً أن تعيد موضوعها لصديق فلا تكاد تجد موضوعاً . فلنرجع مثلاً إلى قصة تلك الأوراق الخاوية إذا أحببت أن تسميها ، أو إلى قصة المتناقضات إذا شئت أن تسميها ، فان التسميات عند هكسلى معدة ذات مرام كثيرة وليس من السهل ترجمتها ؛ وهاتان القصتان مما ظهر

الفرق بين طريقة الأستاذ فى قصصه والتلميذ كبير ، وإن كان أدب كل منهما يمثل كل التمثيل .

كان د. ه. لورنس يكتب باحساساته ويقبله ، وكان شديد الاسهاب فى بعض المواقف حيث تمس آراء ونظريات يهتم بها اهتماماً خاصاً ، وذلك أكبر السر فيما كان له من تأثير فى قرائه .

أما التلميذ فقد أظهر حتى فى مؤلفاته الأولى وجهة جديدة خاصة ، تدل على أنه مع إعجابه بالأديب لورنس لم يتأثر به ولم يسر فى ركابه ؛ بل هو صاحب طريقة خاصة فى معالجة قصصه ، كما أنه صاحب نزعة خاصة فى أفكاره . فهو أولاً وقبل كل شئ ذلك الرجل الذى امتلأ ذهنه الكبير بقراءات واسعة شاملة فى موضوعات مختلفة ، وهو الرجل الذى وجد الوقت ليدرس كل ما يجب وكما يجب ، فشد طائفة كبيرة من المعلومات الأدبية والعلمية وهو فى مقتبل العمر لا يمكن أن يحصل عليها كاتب نشأ فى فاقة مثل لورنس ولا يمكن أن يصل إليها إلا أن يبذل العمر فى هذا السبيل . وشئ آخر نلاحظه فى كتابات ألدس هكسلى ومؤلفاته ولا نجد مثله بل نجد خيراً منه فى كتابات د. ه.

قبل القصة التي تشير إليها اليوم فإذا نجد ؟ نجد أحاديث لا تنتهي بين جماعة من الذين يعملون في الحياة أعمالاً عقلية أو جماعة من المترفين ، ولكنهم جميعاً ممن أصيبوا بأمراض الحياة الحديثة ، فليس فيهم من يخلو من عقد نفسية وليس من فيهم يسلك في حياته الخاصة مسلكاً مستقيماً كما اصطلاح عليه الأجداد .

ولكن أهم ما يسترعى النظر ويبعث على الرضا أحياناً قليلة وعلى السخط كثيراً ، هو تلك النظرة الساخرة التي ينظر المؤلف بها إلى أشخاص قصصه ؛ حتى إنك إذا كنت تشعر بالكراهية نحو هؤلاء الأشخاص مرة ، فانك تشعر بالكراهية نحو الذي يعرضهم على مسرح الحياة مرات عديدة .

أما القصة التي أصدرتها اليوم دار الكاتب المصري فان لها موضوعاً طريفاً حقاً ، هي الحياة في هذا العالم كما يتخيلها المؤلف بعد تقدم العلم وتطور المجتمع . وفيها يستعمل الكاتب براعته في السخرية من هذه الحياة الناشئة عن تقدم العلم ، وهو يبتدع أساليب طريفة في هذه السخرية ، فمن سخرية بالعلم نفسه تنطوي تحت المسميات التي يبتدعها وينحتها على مثال مايفعل

العلماء ، ومن سخرية بالمجتمع واتجاهه إلى محو الشخصية الفردية والانطواء تحت ألوية المذاهب ، وهذه بدور يجدها الأديب ويقتبسها من المجتمع الحاضر ، أو على الأصح من المجتمع الذي ألقت القصة في زمنه ، ويسير بها إلى نتائجها المرتقبة ، أو قل غير المرتقبة . وهو في هذه الصورة يكشف لنا الغطاء بنظرة الساخرة عن حياتنا وعن معنى ما نؤمن به في الوقت الحاضر . ونحن في هذه الصورة نعطف على المؤلف ونشألمه آراءه ، ولا نجد تلك الكراهية التي نشعر بها نحو المؤلف في رواياته الأخرى .

فقصة « العالم الطريف » هي نقطة تحول عند ألدس هكسلي ، قبلها كان ألدس هكسلي ساخراً لادعاء لا يشفق وكأنه لا يحفل بهذه الحياة التي يشترك فيها ، ولكنه في هذه القصة بدأ يهتم اهتماماً حقيقياً ، ويرى أن عليه واجباً في هذه الحياة لا يستطيع إلا أن يقوم به وإن لم يتخل نهائياً عن سخريته .

لذلك نراه في الكتاب الذي يليه يتجه اتجاهها جدياً ، في غير مواربة ، ومن غير اتخاذ ستار القصة ، إلى معالجة مشكلة الديمقراطية والحرية الفردية وكانت أوربا عندئذ على حافة الهاوية .

ووقعت الواقعة ونشبت الحرب الأوربية الأخيرة ومستته في صميم حياته . فإذا فعل الأديب حينئذ ؟ غادر انجلترا وهاجر إلى أمريكا وانضم للقائمين بأن البلاد التي تصلى نار الحرب ليست أصلح البلاد للأدب ؛ وأن موضع الأديب ليس الإقامة في وطن يضج بالسلح ؛ فضجيج السلاح يشوش الأفكار ويخف صوت الأفلام ، وإما موضعه بلاد بعيدة عن القتال ولوفر ذلك على أنه خيانة لوطنه ؛ فأول واجب للأديب هو المحافظة على سلامة نظره وابتعاده عن المؤثرات الوقعية ، ولا يتيسر ذلك إلا في جو غير جو انجلترا التي كانت وقتئذ في أشد العمدة ، لا يعرف أهلها الراحة يوماً أو نهاراً .

ولسنا نريد أن نتعرض لدراسة ألدس هكسلي في تطوراته الأخيرة فإن مثل هذه الدراسة محالاً آخر ، ولا نريد أن نتكهن بما ينتظر منه وهو لا يزال يرحى منه في شيخوخته الشيء الكثير . غير أننا نستطيع أن نقول إن ألدس هكسلي يزداد شهرة على شهرة ، ليس في انجلترا وحدها بل في جميع البلاد الأوربية والأمريكية ، ولعل شهرته في البلاد الأوربية والأمريكية أكبر منها في انجلترا .

فدار الكاتب المصرى بنشر هذا الكتاب الطريف وإخراجه في الصورة الأنيقة التي عرفت بها مطبوعاتها قد أسدت يداً إلى المكتبة العربية .

صورة جديدة تمثل النبي العربي للدكتور بشر فارس (مطبعة المجمع العلمي المصرى) .

هذا الكتيب هو عبارة عن محاضرة ألقاها الأديب المعروف الدكتور بشر فارس في المجمع العلمي المصرى في ٢٧ مايو سنة ١٩٤٦ ، وهي نتيجة لكشف خطير عثر عليه الدكتور بشر فارس ؛ فلقد وجد « منمنمة » وهي التسمية التي ابتدعها للتعبير عن الصورة الصغيرة

التي تزين بها الكتب وتقابل كلمة بشر فارس تمكن بدأه وبحته
 miniature في اللغات الأجنبية . من الرجوع بتاريخ هذا التصوير
 وهذه المنمنمة يرجع عهدها إلى سنة ٦١٤ هـ وفيها صورة للنبي العربي
 صلى الله عليه وسلم . وكان المعروف لدى العلماء والباحثين أن تصوير
 النبي في منمنات الكتب لم يحدث إلا بعد ذلك بقرن . ولكن الدكتور
 وقد احتفظ حضرته بحقوق النشر والنقل والتصوير ؛ إذ هو عازم على
 متابعة هذا البحث ثم نشر ما جمعه من معلومات قيمة سيكون لها شأن كبير
 في تاريخ التصوير العربي .

حسن محمود

قلوب الناس قصص تحليلية للأستاذ ابراهيم المصرى (دار الكاتب المصرى)

مجموعة قصصية تشتمل على إحدى عشرة قصة في بضع وثلاثين ومائة صفحة ، تعالج كل قصة منها حالة من حالات النفس في شدة نالتها أو كارثة ألت بها أو عاطفة مشبوبة حصرتها في زمان ومكان وفكرة ؛ ففي كل قصة منها حادثة ، ولكن مما يجرى في داخل النفس لا في ظاهر الحياة ؛ ولذلك اختار المؤلف أن يكون عنوان مجموعته « قلوب الناس » إذ كان في كل قصة منها صورة قلب .

ومثل هذا الضرب من القصص التحليلي عسير المطلب على قارئه وعلى كاتبه جميعاً ؛ إذ كان الكاتب لا يبلغ فيه مبلغ الاجادة إلا إذا بلغ من قوة

النفس وعمق النظر ونفاذ البصيرة مبلغاً يتيح له أن يرى في كل منظر من صور الحياة ما لا يراه غيره من ذوى العيون الباصرة ، وأن يسمع في نبر كل حديث من ألحان النفس ما لا يسمعه كل ذى أذن ؛ ثم يكون له إلى ذلك من القدرة على « التجرد » ما يعينه على التخلص من وساوس نفسه وخصائص وجدانه وحوادث ماضيه ؛ ليكون لفنه من صفة « العموم » ما يرتفع به عن بعض هذيان الحمومين من ضحايا « الفكرة الثابتة » الذين لا يستطيعون الخلاص من بعض ما يؤثر في خاصة حياتهم فلا يطيقون كتمانها ولا يملكون الأسلوب الصريح للتعبير

الأذن ؛ فلولا بعض المبالغة في الوصف وبعض الاسراف في التعبير عن بعض حركات النفس أو بعض حركات الجسد ، لأحس كل قارئ فيما يقرأ صورة من نفسه أو صورة من حوله قد وعاءها وعى ذى قلب وعين .

أما القصة الأولى « سامية وإنعام » فتصف حال فتاة من أوساط الناس قد نشأت على الفضيلة والمحافظة فلا تعرف من فنون الحياة إلا الطهي والخياطة وإعداد الفراش ، وإلا الصلاة والصوم وتلاوة القرآن والأدعية ؛ والأوراد ، فلما نضجت أنوثتها واكتملت انتقلت إلى بيت زوجها ... ثم ... ثم كان كل ذنبها عند زوجها أنها لا تعرف إلا الطهي والخياطة وإعداد الفراش ، وإلا ... فتأخذ زوجة ثانية يلتمس عندها من فنون « الأنثى » ما لا يجد عند زوجته الأولى . وتعصف الغيرة بالمرأة فتحاول أن تتكلم وتتغوض مما بها أمن النقص ، فتسرف في الزينة والتجمل إسرافاً يزيد الهوة اتساعاً بينها وبين زوجها ؛ ثم يكون ذلك أول سقوطها ...

لعل بعض القراء أن يسأل : أهذه هي القصة ؟ وإلى أى غاية تهدف ؟ وأين منها فن القاص وصفة العموم

عنه ، فيحاولون نوعاً من القصص التحليلي ليتنفسوا به من ضيق ويتفرجوا من حرج ، فلا يبلغون من الفن شيئاً ولا يزيدون على أن يقدموا للقراء صورة حائلة لجانب من جوانب نفوسهم المريضة في إطار ملفق من الرياء والكذب والأثرة ؛ ومن ثمة كانت صعوبة تناول هذا اللون من القصص النفسى .

بلى ! قد يبلغ الكاتب من قوة الإيمان بنفسه مبلغاً يهئ له أن يعرض حياته — أو جزءاً من حياته — عرضاً قصصياً رائعاً يبلغ به الغاية في الفن ، ولكن شرط الاجادة الأول في هذا اللون هو « الصدق » ، ولا بد فيه كذلك من « التجرد » بمعنى الارتفاع على التقاليد الاجتماعية التي تفرض عليه نوعاً من الوقار — أو التوقر — يجعل منه غمماً بارداً لا حياة فيه ولا عاطفة !

أما بعد فهذه إحدى عشرة قصة تحليلية قد استطاع مؤلفها أن يحقق فيها شرط الاجادة ، فكان له من قوة النفس وعمق النظر ونفاذ البصيرة ، ثم من القدرة على التجرد ، ما هيا له أن ينفذ إلى قلوب بعض الناس فيصفها وصفاً رائعاً كأنما يصف حادثة في ظاهر الحياة رآها رأى العين وسمعها سمع

وما رأينا في الحياة العامة أن التربية الدينية المحافظة تقود فتاة إلى السقوط؟ ولست أملك جواباً عن واحد من هذه الأسئلة أو عنها جميعاً ؛ وليس يعنيني حين أعرض هذه المجموعة من القصص أن أتحدث عن الغاية التي تهدف إليها كل منها ؛ وليست هذه الحادثة هي القصة فيما قرأت ، وما التمت صفة العموم — ولعل المؤلف لم يلتزمها مثلي — في الحادثة ، وإنما التمسها فيما تضمنته الحادثة من الانفعالات وصور الوجدان . وأحسب أن المؤلف قد أجاد — لولا المبالغة — في وصف هذه الانفعالات وتلك الصور الوجدانية العاية ، على حين لم ينظر إلى الحادثة إلا على أنها إطار لهذه الصور والانفعالات .

وفي القصة الرابعة « أطوار النساء » يحاول المؤلف أن يعالج مشكلة الأم الثانية ، ثم ينتهي إلى الرأي بأنه لا أم إلا الأم ؛ فإذا ترسل الأب فقد حق عليه أن يصير لولده أباً وأماً ، وحرم عليه أن يتزوج ثانية إلا أن ينسى أبوته وولده .

والخامسة « مأساة ضمير » ، ضمير رجل انغمس في القمار والرذيلة وأضله هواه حتى فقد كل ما كان يملك أو أوشك أن يفقده ، فلم يجد لنفسه خلاصاً من ضيقه إلا أن يبيع امرأته لاحدى شركات التأمين ليتفرج بثمنها من ضيقه ، فأمن على حياتها ثم دس إليها أسباب الموت ليحصل على قيمة التأمين . . . ثم استأنف حياة جديدة وتزوج أخرى ، وتطورت به الأيام من حال إلى حال حتى وجد نفسه ذات يوم في مثل ما كان فيه من الضيق قبل أن يقتل

ويصف المؤلف في القصة الثانية « المقامر » قصة شاب أغرم بالقمار ثم سلا . تلك هي الحادثة كلها ؛ ولكنها قصة ، قصة إنسانية رائعة تصور في أروع أسلوب وأحسن معرض كيف تنتقل نفس المقامر في الإثم والرذيلة منزلة بعد منزلة حتى تهوى به إلى الحضيض الذي لا نهضة منه .

والثالثة « قصة امرأة » في رسالة وهي امرأة يتراوح قلبها بين كهل غنى وشاب فقير : قد استهواها المال

الحادثة كانت هذه القصة بأصالة موضوعها وحركات النفس فيها أروع وأمتع وأعمق أثراً .

ولست أستطيع أن أعرض القصة الثامنة « روايح الجنة » إذ كان قلب المرأة فيها من نوع لا أعرفه من « قلوب الناس » ؛ قلب متناقض الأهواء متقلب الاحساس ، يحب الشيء ويغضه في وقت معاً ، ويرضى ثم يأبى لا يعرف أحد فيم كان رضاء وفيه كان إباءه !

فاذا بلغت القصة التاسعة « الحياة الثانية » قرأت قصة تستحق أن تقرأها ، ثم لا تلبث بعدها قليلاً حتى تذكر قصتين أخريين من المجموعة نفسها : « قصة امرأة » و « بعد سبع سنوات » فيحملك التشابه القوي بين هذه القصص الثلاث — على تفاوته في بعض المراحل — على أن تظن ظناً أن بين هذه الحادثة بألوانها الثلاثة في هذه القصص وبين نفس المؤلف رابطة ما ، وأن ثمة فكرة لا تزال تلم به حيناً بعد حين لأن لها في حياته أثراً ما . . .

أما القصة العاشرة « هو القدر » فنمط من الحكاية معروف ، وهو إلى باب « الحوادث » أقرب !

ثم تأتي القصة الأخيرة « سلطان

امرأته الأولى ، فسولت له نفسه أن يعيد تمثيل المساة . . . وألحنت عليه وساوسه فلم يجد إلى الخلاص إلا سبيلاً واحدة . . . وثأر من نفسه لامرأته القليل !

ثم القصة السادسة ، وعنوانها « بعد سبع سنوات » . ولو أنصف المؤلف لسمّاها « قصة شاب » لتكون بازاء « قصة امرأة » التي أسلفنا الحديث عنها ؛ فالحادثة واحدة في القصتين أو تكاد ، ولكن البطل في هذه القصة شاب ، لا امرأة ، يتراوح قلبه مثلها بين الغنى والشباب ، فتبدأ قصته كما بدأت قصته تلك ، وتكاد نهايتهما تكون واحدة ! أكان من الضروري أن تكون المجموعة إحدى عشرة قصة ؟

والسابعة « نداء البحر » وكل ما في العنوان من الدلالة على الموضوع ، أن أكثر حوادث القصة كانت على شاطئ البحر في الاسكندرية ، أما « النداء » فلم أسمع به ؛ وفي القصة مشابهة من قصة سامية وإنعام ؛ كل الفرق بين الحادثتين أن الفتاة هنا همت أن تتزوج رجلاً ثانياً — إن صح هذا التعبير — أما في القصة الأولى فقد تزوج الرجل امرأة ثانية . على أن الجو النفسي مختلف في القصتين ، فلولا تشابه

دون أن أنبه الكاتب الأديب إلى ضرورة عنايته بلغته ؛ فان ثمة أغلاطاً في اللغة والنحو والتعبير ليس يحمل بأديب مثل الأستاذ إبراهيم المصري يعالج الكتابة منذ بضع عشرة سنة أن يقع فيها .

وثمة شئ آخر لا أجد مندوحة من التنبيه إليه ، هو إثاره العامية المصرية في بعض الحوار ، على حين كانت العربية أسلس أداء وأطوع للسان . وقد يحتج الأستاذ المصري لمذهبه ذاك ببعض ما كان يحتج به دعاة العامية من البكم والعجزة : أنه لم ينجح إلى العامية إلا في بعض الحوار لتكون اللغة طبيعية على ألسنة الناطقين بها وهي حجة لا أرى الأستاذ المصري يؤمن بها ؛ فهو لم يلتزم عامية الحوار إلا في قصة واحدة دون سائر المجموعة ؛ فلو أن طبيعة الحوار كانت تقتضى العامية كما يزعم من يزعم لما آثر الفصحى في عشر قصص من إحدى عشرة ، فكانت العامية في قصة واحدة هي الشذوذ الذي يلفت النظر وينبؤ عنه السمع ويلتوى به اللسان .

المثل الأعلى » ويبدوها المؤلف بالكلمة الآتية :

« هذه قصة قد لا تقع في بيئة مصرية . وقد تقع كل يوم في كل مكان . وليست العبرة فيها باللون المحلى أو الرسم الواقعى ، بل بما تنطوى عليه من نزعة مثالية كامنة في كل نفس بشرية وكل خيال إنسانى . »

ولعل القصة كما وصفها مؤلفها ، بل إنها كذلك فيما أرى ؛ ولكن النزعة المثالية التى يشير إليها المؤلف لم تكن إلا في الطفل ، في الطفل وحده دون كل من في القصة من رجال ونساء ؛ لولا أن ذلك الطفل المسكين لم يجد خلاصاً من أزمتة إلا بأن يزهرق نفسه ! وقد كانت المثالية أن يجد من نفسه القوة على مواجهة الحياة بشجاعة ، ولكنه طفل ، ولكنها مثالية طفل !

هذه هي « قلوب الناس » كما رآها الأستاذ إبراهيم المصري في مجموعة قصصه التحليلية التى أخرجتها دار الكاتب المصرى هذا الإخراج الأنيق فأسدت إلى الأدب العربى يداً . ولكنى لا أريد أن أختم حديثى

دير بارم تأليف ستندال تعريب الأستاذ عبد الحميد الدواخلي (دار الكاتب المصرى)

« دير بارم » هى قصة من أروع ما كتبه ستندال من قصص ، وآية من آيات الأدب القصصى الفرنسى . قصة من هذا النوع الذى يتسلط عليك ، فما تكاد تبندى قراءتها حتى تشغف بها شغفاً شديداً وإذا بك تواصل القراءة وتجد فيها لا تريد أن يشغلك عنها شغل ولا أن يمنعك عنها مانع حتى تصل إلى نهايتها . وهذا الشغف بالقصة إنما يتولد فى نفسك من حبكة حوادثها وتسلسلها المنطقى ، ومن التحليل النفسى البارع الذى اشتهر به ستندال والذى جعله منعزلاً فى عصره . فستندال الذى عاش أثناء ازدهار المذهب الرومانتيكى سنة ١٨٣٠ يسرف فى التحليل النفسى إسرافاً جعل معاصريه يملون قراءة كتبه وقصصه ؛ إذ كان الأدب فى عصره لا يتعرض لتحليل النفس الانسانية ، بل كان يكفى بوصف الشعور والاسراف فى هذا الوصف . فهذه الحساسية الريبة لا نجدها عند ستندال ، وإنما نجد استقصاء عن أسباب الأشياء ونتائجها . وهذا الميل إلى الاستقصاء هو الذى جعل ستندال منعزلاً فى عصره ، وكدت

أكتب منعزلاً فى الأدب الفرنسى كله ؛ فهو لا يعد من الرومانتيكين مع أنه عاصرهم ، ولا يعد من الكلاسيين مع أنه يمت إلى هذه المدرسة بأكثر من سبب ، ولا يعد من الواقعيين مع أن هؤلاء نظروا إليه كأنه المنشئ الأول لذهبيهم . وفى الحقيقة أن ستندال يجمع فى أدبه شيئاً من مميزات كل مذهب : فهو رومانتيكى إن شئت أن تعده كذلك ، وهو كلاسي إن أردت أن تعتبره من الكلاسيين ، وهو واقعى إن أحببت أن تضمه إلى أنصار هذه المدرسة . ولكنه قبل كل شئ عالم قدير بالنفس الانسانية وأسرارها ودقائقها وغموضها ، وقصصى بارع قلما نجد فى الأدب الفرنسى من يضاهيه براعة فى هذا الفن .

اكتشف ستندال نحو سنة ١٨٣٣ بعض مخطوطات إيطالية من القرن السادس عشر أو القرن السابع عشر . والناظر إلى هذه المخطوطات يجد فيها قصة تحمل هذا العنوان : « نسب أسرة فرنيزيه الكبيرة » وهى التى أوحى إلى ستندال قصة « دير بارم » . ففبريسى دلنجو بطل القصة يشبه

شبهاً كبيراً البابا الكسندر فرنيز ، لأن حياة الكسندر فرنيز قد أوجت إلى ستندال مغامرات فبريس وأخلاقه . وقد يظن من يعرف أن حادثاً عابراً قد أوحى إلى ستندال قصة « الأحمر والأسود » أن خيال هذا الكاتب محدود لا يعرف إلى الجموح سيلا . وهذا الزعم باطل لا يمت إلى الواقع بصلة ؛ فخيال ستندال جامع كل الجموح ، ويشهد بذلك قصصه المتعددة التي كتبها مثل « لوسيان لوين » و « أرمانس » و « حياة هنرى بولار » ، ولكنه يحتاج إلى بعض الوقائع الثابتة ليسترسل . فقصص ستندال ما هي في بادئ الأمر لإعود جاف يحتطبه ثم يعيده إلينا بعد أن يزينه ويخلع عليه أجمل الحلل فيبدو مزهراً ناضراً حافلاً بالثمرات . ومهما يكن المصدر الذي أمد ستندال بقصة « دير بارم » فهذه القصة بما تعرض علينا من تحليل لشخصياتها ولشعورها وما تصوره من صميم الحياة الإيطالية ، تشهد ببراعة مؤلفها وإدراكه الواسع بخفايا النفس الإنسانية . فهي تختلف إذن كل الاختلاف عن المصادر الجافة التي استمد حوادثها منها . قيمة القصة بصورة دقيقة

لمدينة ميلانو وحالة سكانها وعاداتهم عقب موقعة لودى ، وهي صورة صادقة رسمها ستندال لا من الخيال بل من الواقع ؛ لأنه حارب مع نابليون وتبعه في جميع حروبه . ثم ينتقل بقارئيه من إيطاليا إلى فرنسا حيث يصف لهم موقعة واترلو وصفاً دقيقاً يفوق وصف فيكتور هوغو لهذه الموقعة في كتاب « البؤساء » . وأخيراً يسرد لنا مغامرات فبريس دلدنجو وغرامياته والحن التي ألت به واضطرته أن يعتزل الحياة العامة ويلجأ إلى دير بارم ليجد فيه راحة النفس وهدوء البال . وقد أتاحت هذه المغامرات للمؤلف أن يطلعنا على خفايا السياسة الإيطالية ويعرض علينا لوناً من الحياة في بلاط أحد ملوك إيطاليا الصغار وما يملأ هذه الحياة من مؤامرات وضيعة شائنة . كل هذا يعرضه علينا ستندال بطريقة جذابة محببة إلى نفس القارئ . وأسلوب ستندال يجعل قصصه عسيرة الترجمة ؛ فميله إلى الدقة في اختيار الألفاظ ، وروحه الساخرة اللاذعة ونكاته الباردة لا تسهل مهمة مترجمه . فمهما بذل المترجم من جهد لنقل هذا الأسلوب وهذه الروح الساخرة لا يمكن أن تعطي الترجمة العربية صورة صادقة

من فن استدال ، فالترجم دائماً في حاجة
إلى أن يبتعد قليلاً أو كثيراً عن النص
الفرنسي لكي يتجنب ما تعسر عليه
ترجمته وتأتى عباراته عريية صحيحة .
وقد أجاد الأستاذ عبد الحميد الدواخلي
في ترجمته وأحسن كلما وجد إلى الاجادة
والاحسان سبيلاً ، والتزم الأمانة
ما وسعه ذلك ؛ لأن الترجمة شقت عليه ،
وقد تشق على من هو أبرع منه إن
كان هناك من هو أبرع منه . فلا
يسعى إلا أن أحمده له هذا المجهود
الجبار لما تغلب عليه في الترجمة
من مشقة وعسر ، وأشكره لأنه أهدى
إلى قراء العربية أثراً أدبياً خالداً ،
وأهنته على هذا الأسلوب الرفيع
الذي قدم فيه ترجمته .

رسالة